عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم قال مجاهد فارين غير معجزين
وقال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا
الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه وذلك قوله تعالى والملك على ارجائها
وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
وهذا القول اظهر والله اعلم فاذا ند الخلائق وولوا مدبرين يقال لهم ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا اي ان قدرتم ان تجاوزوا اقطار السموات
والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر على عذابكم فافعلوا وكان ما قبل هذه الاية وما بعدها يدل
على هذا القول فان قبلها سنفرغ لكم ايها الثقلان وهذا في الاخرة وما بعدها فاذا
انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وهذا في الاخرة ايضا فان هذا خطاب لجميع الانس
والجن فانه اتى فيه بصيغة العموم وهي قوله يا معشر الجن والانس فلا بد ان يشترك الكل
في سماع هذا الخطاب ومضمونه وهذا انما يكون اذا جمعهم الله في صعيد واحد يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر قال تعالى ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لارادة الجماعة
كما قال في اية اخرى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وقال يرسل عليكما ولم يقل عليكم
على ارادة الصنفين اي لا يختص به صنف عن صنف بل يرسل ذلك على الصنفين معا وهذا
وان كان مرادا بقوله ان استطعتم فخطاب الجماعة في ذلك بلفظ الجمع احسن اي
من استطاع منكم وحسن الخطاب بالتثنية في قوله عليكما امر اخر وهو موافقة رؤس
الاي فاتصلت التثنية بالتثنية وفيه التسوية بين الصنفين في العذاب بالتنصيص عليهما
فلا يحتمل اللفظ ارادة احدهما والله اعلم وقال ابن عباس الشواظ اللهب الذي
لا دخان فيه والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان فاضاف الذنوب الى الثقلين وهذا دليل على انهما سواء في التكليف
واختلف في هذا السؤال المنفي فقيل هو وقت البعث والمصير الى الموقف لا يسالون

حينئذ

حينئذ ويسالون بعد اطالة الوقوف واستشفاعهم الى الله ان يحاسبهم ويريحهم من
مقامهم ذلك وقيل المنفي سؤال الاستعلام والاستخبار لا سؤال المحاسبة والمجازاة
اي قد علم الله ذنوبهم فلا يسالهم عنها سؤال من يريد علمها وانما يحاسبهم عليها

فصل فاذا علم تكليفهم بشرائع الانبياء ومطالبتهم بها وحشرهم يوم القيامة
للثواب والعقاب علم ان محسنهم في الجنة كما ان مسيئهم في النار وقد دل على ذلك قوله
حكاية عن مؤمنيهم وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا
ولا رهقا وبهذه الحجة احتج البخاري ووجه الاحتجاج بها ان البخس المنفي هو
نقصان الثواب والرهق الزيادة في العقوبة على ما عمل فلا ينقص من حسناته
ولا يزاد في سيئاته ونظير هذا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
يخاف ظلما ولا هضما اي لا يخاف زيادة في سيئاته ولا نقصا من حسناته وايضا فقد
قال تعالى في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان وذكر
ما في الجنتين الى قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وهذا يدل على ثواب محسنهم الجنة
من وجوه احدها ان من من صيغ العموم فيتناول كل خائف الثاني انه رتب الجزاء
المذكور على خوف مقامه فدل على استحقاقه به وقد اختلف في اضافة المقام الى الرب
هل هي من اضافة المصدر الى فاعله او الى مفعوله على قولين احدهما ان المعنى ولمن
خاف مقامه بين يدي ربه فعلى هذا هو من اضافة المصدر الى المفعول والثاني
ان المعنى ولمن خاف مقام ربه عليه واطلاعه عليه فهو من اضافة المصدر الى
فاعله وكذلك القولان في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
ونظيره قوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فهذه ثلاثة مواضع وقد
يقال الراجح هو الاول وان المعنى خاف مقامه بين يدي ربه لوجوه احدها ان
ان طريقة القران في التخويف ان يخوفهم بالله واليوم الاخر فاذا خوفهم به

Copyright ... University